الفصل الثاني

المسكوت عنه في الثقافة المصرية

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

1 هل لمصر سياسة ثقافية؟

هل هناك سياسة ثقافية لمصر؟ وما هى أولوياتها؟

هل تكفى المؤتمرات الاحتفالية والمهرجانات التى تخلق صخبا عالميا ولا تترك أى مردود إيجابى، هناك بالفعل مؤتمرات كثيرة وندوات أرضية وتليفزيونية وكتب كثيرة تدفع إلى المطابع ومهرجانات ثقافية لا تتوقف ولكن هل هذا يكفى لتجديد وتنوير العقل الجمعى فى مصر، هل ترميم الآثار وإنفاق الملايين على بناء قصور وأبنية جديد للأنشطة الثقافية دون الاهتمام بوضع برامج جادة طويلة المدى للأنشطة الثقافية ودون الاهتمام بتربية كوادر فى مختلف مجالات الإبداع، هل هذا وحده يكفى؟ وهل هناك سياسة ثقافية للجامعات ومراكز البحوث والهيئات المختلفة التابعة لوزارات الإعلام والتعليم؟

هل هناك خطة قومية للسينما والمسرح وخطة لنشر ورعاية الإبداع الثقافى فى المجالات العلمية والفكرية والأدبية والفنية والدينية دون خوف من الرقابة العلنية والمستترة؟!

هل هناك خطة وبرامج ثقافية تسعى إلى تشكيل رؤية نقدية معاصرة لما يجرى حولنا لدى المواطن المصرى فى كافة مجالات الإبداع المسرحى والسينمائى والدراما التليفزيونية والبحث العلمى والفقه الدينى.. إن تشكيل العقل والوجدان الجمعى تقع مسئوليته الأولى على كل من وزارات التعليم، والثقافة والإعلام، فهل هناك

تعاون وتنسيق حقيقى بين الوزارات والهيئات المعنية بإنتاج الثقافة ونشرها.. إن كل وزارة تنفرد بسياستها وتحرص على عدم مد الجسور للتفاعل والتنسيق مع الوزارات الأخرى التى تعمل فى نفس المجال وتنشغل بذات الهموم والقضايا، وتعانى هذه الوزارات من قصور بنيوى تراكم عبر السنين فأنتج أوضاعاً مشوهة عاجزة عن التعامل مع التحديات التى يطرحها العصر الحالى بتعقيداته وملابساته وإشكالياته العديدة. تعانى الأحوال الثقافية فى مصر من العشوائية وترهل أداء المؤسسات القائمة وسيطرة الشكلية والبيروقراطية على جميع الأنشطة الرسمية للوزارات المعنية بالثقافة فى مصر إذ تغلب التراكم الكمى للمنتج الثقافى والفكرى وغاب عنصر النوع والتميز ولذلك نشاهد عشرات الصحف والمجلات الثقافية والكتب والترجمات ولكننا لا نعيش واقعاً ثقافياً ناهضاً وأعتقد أن السبب يكمن فى العقلية التى تخطط للثقافة فى مصر إذ تميل إلى الدعاية والترويج والتسويق التجارى للثقافة أكثر من اهتمامها ببناء مشروع للنهضة الثقافية والواقع أن المجتمع المصرى قادر دوماً على رفد الواقع بالعقول المبدعة والمواهب الخلاقة ولكن السياق الديماجوجى الذى يهتم بالمظاهر والشكليات لا يتيح للمواهب الجادة فرصة المشاركة أو التأثير كما أن لدينا إمكانيات مادية ضخمة ولكن يتم إنفاقها بمنطق السوق والعقلية التجارية وسد الخانات والدوران فى حلقة مفرغة من العموميات واجترار الاجتهادات الماضاوية والتقليدية والتى كانت تصلح للعصور التى أنتجتها.. نحن نعانى من تهميش الخطاب العقلانى النقدى المستنير سواء فى تعالمنا مع الفكر الوضعى أو الفكر الدينى ولا يمكن أن ننكر أن هناك بعض المحاولات الفردية الجادة والمخلصة المبعثرة هنا وهناك تتمثل فى أنشطة بعض المؤسسات أو المجلات الثقافية ولكنها وحدها لا تكفى لأن الثقافة لا تنهض إلا فى إطار منظومة

متكاملة تسهم فيها جميع المؤسسات التعليمية والتربوية والثقافية والإعلامية وتسعى من خلال التعاون والتنسيق إلى خلق مناخ ديمقراطى حقيقى وفعال ينغلغل فى حياة الناس ويؤثر فى سلوكياتهم وأفكارهم ورؤيتهم للواقع ويشجع ذوى المواهب على طرح إبداعاتهم دون خوف والاهتمام بقضايا وطنهم ومجتمعهم كى يصبح قادراً على مواجهة تحديات عصره.

صوت الجامعة ٦ مارس ٢٠٠٢

obeikan.com

2 أزمة الثقافة العربية

تعانى الثقافة العربية من أزمة مركبة متعددة الأبعاد لا يمكن أن نعزوها فقط إلى قلة الأعمال الإبداعية وغياب المبدعين ولكن يمكن إرجاعها فى الأساس إلى سببين محوريين هما:

أولاً: أزمة صناع القرار أى الحكام العرب وتبعيتهم شبه المطلقة لصناع القرار الدولى وهم بالتحديد الولايات المتحدة الأمريكية والبنك والصندوق الدوليين ومنظمة التجارة العالمية.

ثانياً: أزمة المثقفين العرب الذين ينقسمون إلى ثلاث فئات فئة تم ترويضها واستقطابها لصالح مؤسسات الحكم وفئة ثانية تم استقطابها لصالح المراكز الأجنبية التى تحتكر حقل النشاط الأهلى وتدفع بسخاء لأنصارها والمتعاملين معها وتنشر شبكاتها الأخطبوطية بإغراءات سخية تستهدف احتواء الأجيال الوسيطة والجديدة فى أنشطة مظهرية ذات ضجيج إعلامى مفتعل وحصاد مجتمعى محدود ومضلل ويتركز نشاطها فى العواصم العربية ويدور حول ندوات ومؤتمرات احتفالية لا ينتج عنها سوى وريقات إعلامية لا تغنى ولا تسمن ولا تضيف جديداً. أما الفئة الثالثة من المثقفين فهى تضم هؤلاء الذين يتبنون فكر التغيير الذى يجسدونه فى دفاعهم عن قضايا الأوطان والفئات المهمشة والكادحة ويتم استبعاد هذه الفئة بشكل منتظم من كافة المواقع ذات التأثير فى صناعة القرار الوطنى فى كافة الميادين ويتم ذلك من خلال الضغوط البيروقراطية والأمنية.

وفى ظل هذا المناخ لابد أن تطرح قضية مسئولية المثقفين العرب وضرورة سعيهم لامتلاك الجبهة الثقافية من خلال جهد جماعى منظم لتشكيل رؤية مشتركة حول القضايا المصيرية مثل الصراع العربى الإسرائيلى وقضايا التنمية البشرية والإنسانية فى الوطن العربى ويستلزم ذلك تطوير الخطاب الثقافى بحيث يتركز حول تشخيص مشكلات الواقع العربى الراهن والتحديات والتهديدات المطروحة على الوطن العربى بشعوبه وحكامه داخلياً وخارجياً.

فإذا كان المثقف العربى لا يعانى من العجز الذاتى بقدر ما يعانى من الحصار والتكبيل بالقيود السياسية والاقتصادية والأمنية فإنه مطالب بفك قيود التبعية للأنظمة الحاكمة وعدم السير فى ركابها مع ضرورة العمل فى نفس الوقت على التخلص من التبعية للمركزية الثقافية الغربية (الأوروبية الأمريكية) إلى المدى الذى لا يؤدى إلى الانغلاق على التراث كذلك يقع على المثقف العربى مسئولية التخلص من السلوكيات والممارسات المظهرية التى تكرس الازدواجية والانغلاق فى دائرة النفع الشخصى دون مراعاة للصالح العام أو القضايا الكبرى ولذلك عليه أن يسعى لتطوير قدراته وتعميق انتماءه لأمته وثقافته من خلال تواصله مع كل ما هو إيجابى ومستنير فى تراث تاريخه الاجتماعى والثقافى ومن خلال التواصل مع رفاق الاستنارة فى إطار برنامج عمل جماعى يهدف إلى تمكين الشعوب العربية من المشاركة فى صنع القرارات الوطنية والدفاع عن حقوقهم الأساسية وعلى رأسها حقهم في حرية التعبير واقتسام عائد الثروات الوطنية بصورة تضمن عدالة توزيعها على كافة شرائح المجتمع العربى وذلك وصولاً إلى المدى الذى يجبر النظام العربى الرسمى على احترام الإرادة الشعبية ويعكس ذلك الاحترام فى قراراته وتوجهاته وسياساته وإلا فإنه سيواجه عاجلاً أم آجلاً بإرادة شعبية جماعية تنتزع منه الأمانة والمسئولية التى أؤتمن عليها.

صوت الجامعة – ٥ مارس ٢٠٠٣

3 الرغيف ... والتثقيف

نحن نعيش فى مجتمع يعانى من عدة أزمات اقتصادية وتشريعية فى ظل التحول إلى اقتصاد السوق منذ أوائل التسعينيات، وتتمثل أبرز هذه الأزمات فى زيادة حجم البطالة وتضخم القطاع الحكومى والتوسع فى تحديث البنية الأساسية على حساب المشروعات الخدمية فى الصحة والتعليم فضلاً عن زيادة الديون بالإضافة إلى الأزمة الدستورية التى تشير إلى ضرورة تعديل دستور ١٩٧١ الذى ينص على أن مصر دولة اشتراكية مما يتناقض مع اقتصاد السوق.

وفى ظل الأوضاع الحالية تحول المواطنون إلى كائنات تلهث وراء لقمة الخبز، إذ لم يعد لديهم الوقت أو الإمكانيات المادية للقراءة أو المشاركة فى إدارة شئون المجتمع، لقد أصبح التحدى الذى يواجه المواطنين يتمثل فى مضاعفة قدراتهم المهنية للحصول على عمل إضافى أو الحصول على أجر أعلى وجاء ذلك على حساب الثقافة والتثقيف ومتابعة الموضوعات الجادة.

واستفادت وسائل الإعلام من الأزمة المجتمعية فركزت على ترويج الثقافة الاستهلاكية «الجريمة والرياضة والمنوعات والإعلانات والجنس» من خلال آليات أدت إلى سيادة أخلاقيات السوق على حساب الأخلاقيات المهنية ومنظومة القيم الاجتماعية وفى سياق ذلك تم تحويل جمهور القراء إلى مستهلكين وتحويل الصحيفة إلى سلعة، كما لعبت الشركات المتعددة الجنسية دوراً أساسياً فى نشر هذه الثقافة من خلال الإعلانات وتهميش الأدوار الاجتماعية والثقافية للصحافة.

لقد أدى هذا التحول فى وظائف الصحافة إلى هبوط مصداقيتها بعد أن تحولت الصحف إلى أدوات للتسلية والإلهاء وتحول الصحفيون إلى موظفين ومستثمرين من نوع جديد يتاجرون بالقيم المهنية ويتلاعبون بالمعرفة ويسخرونها لخدمة ذوى النفوذ الاقتصادى والسياسى، لقد تدهورت صورة الذات لدى الصحفيين كما تدهورت صورتهم لدى الرأى العام، وأدى تغلغل رجال الأعمال واختراق السلطة التنفيذية للصحافة المصرية إلى اختفاء الوظيفة الأساسية للصحافة وأعنى بها النقد والكشف عن الفساد وسوء الإدارة والظلم الاجتماعى، إذ تحولت المادة الصحفية إلى مادة إعلانية دعائية لمن يدفع وهذه هى فيروسات الفساد التى عصفت بجوهر المهنة. يضاف إلى ذلك اعتماد الصحفيين على المصادر الرسمية وتقارير العلاقات العامة فى تغطية الأنباء المحلية الشئون الخارجية وقد أدى ذلك إلى اختفاء النقد الاستراتيجى وإن بقى النقد الأمبيريقى المبعثر فى جزيئات تتناول بعض الممارسات التنفيذية ولا تقترب من نقد السياسات العامة للدولة أو القيادات المركزية فى السلطة. ورغم أن الصحف الحزبية قد ساهمت فى خلق رؤية بديلة للقضايا لدى الرأى العام، إلا أن استمرار السلطة التنفيذية فى سياساتها الاقتصادية والثقافية التى أدت إلى المزيد من الإفقار ونشر ثقافة المهرجانات، كل ذلك أصاب الرأى العام بالإحباط بسبب تبنى السلطة لشعار يقول «دعهم يقولون ما يشاءون ونحن نفعل ما نريد»، والواقع أنه ليس مهما أن نستثمر مستحدثات التكنولوجيا فى تطوير أداء الصحافة وتبقى المضامين العامة والمصادر الرسمية والعلاقات المهنية أسيرة للمعلنين وللسلطة التنفيذية وتتحول المهنة إلى وظيفة مهمتها التخديم على كل مؤلاء على حساب دورها الأساسى فى توعية الجمهور وتثقيفه والدفاع عن حقوق المستضعفين والهوية الوطنية والأمن القومى المصرى والعربى.

صوت الجامعة- ١/ ٣/ ٢٠٠٤

4 الفقر الثقافي

أحسست بخجل شديد عندما نظرت إلى القاعة ووجدتها خاوية إلا من المتحدثين الكبيرين اللذين استضافهما الصالون الثقافى لمجلة «الدوار» أحدهما : أ. عبد الرحمن الشافعي مخرج مسرحى قدير كرس حياته لدراسة الموروث الشعبى وتحويله إلى عروض مسرحية ، والثانى أستاذ جامعى متخصص فى التراث الشعبى «د. سميح شعلان» ثم لحق بهما الروائى المعروف محمد مستجاب وبعد فترة قصيرة اكتملت حلقة الدوار ولكن بدون جمهور ظل الخجل والدهشة يحاصرانى وبدأت معاتبة الذات.. هل قصرنا فى الإعلان عن الأمسية خصوصاً وأنها تتناول قضية تراثية خلافية توالى عليها المبدعون من مؤلفين ومسرحيين وأساتذة جامعات ولا تزال تثير الكثير من الجدل شأنها شأن العديد من السير العشر المعروفة ولكنها أكثرها زخماً خصوصاً فى صعيد مصر لأنها تتناول سيرة أبو زيد الهلالى التى لا تزال حية فى وجدان أهالى الصعيد إلى درجة تقسيمهم إلى أحزاب وفرق هناك حزب أبو زيد وآخر موالى لدياب وثالث للزناتى وهكذا إلخ.

تساءلت كيف يصل بنا الحال إلى هذا المستوى من التراجع عن متابعة فعاليات ثقافية جادة حقيقية توقعت أن تزدحم القاعة بالعديد من الشباب والشابات المتعطشين للمعرفة والثقافة من طلاب كلية الإعلام حيث علقنا الإعلان وكذلك شباب الصحفيين الذين يترددون على نقابتهم التى شهد البهو الرئيسى بها إعلاناً ساطعاً عن الندوة ولم نكتف بذلك بل استكملناه بالنشر فى الصحف القومية

والحزبية.

لاحظ الضيفان الكبيران خجلى وارتباكى بسبب غياب الجمهور قاموا بتهدئة حاطرى مؤكدين أن هذه الظاهرة السلبية انتشرت فى المجتمع المصرى خلال السنوات الأخيرة وهذا أمراً يدعو للأسى من ناحية ولكنه يلزمنا بضرورة تأمل هذه الظاهرة كجزء من المشهد الثقافى العام ودراسة أسبابها سرحت طويلاً فى المدرجات التى لم تعد ممتلئة بطلاب العلم وقد كانوا فى الماضى يتسابقون بالجلوس على حافة النوافذ وإحضار كراسى من خارج القاعة والندوات الثقافية والعروض المسرحية التى كانوا يتسابقون ويتزاحمون عليها ما الذى حدث لشباب مصر من الأجيال الجديدة هل قصرنا فى تربيتهم وتثقيفهم وتوعيتهم بأهمية الثقافة ودورها فى بناء البشر؟.. هل الأزمات الاقتصادية المتلاحقة الحلقات قد جرفتنا وهمشت دور وتأثير الثقافة فى حياتنا فأصابتنا بالفقر الثقافى وأفسحت الطريق واسعاً أمام التفاهة والضحالة والفهلوة والسوقية كى تشغل مواقع الجدية والالتزام والشوق إلى بهجة المعرفة تساؤلات ظلت تشغل خيالى وتثير الارتباك فى وجدانى رغم تدفق عبد الرحمن الشافعى فى حديث ممتع وأسر عن السيرة الهلالية والحلم العربى الضائع لقد قدمها برؤية درامية وعرض مسرحى مبهر شغل صدارتها الراوى المبدع الراحل عزت القناوى الذى رحل مبكراً فى عمر لم يتجاوز الثلاثين عاماً إلا قليلاً وقد حرص المخرج المتميز أن يضعه فى بؤرة العرض المسرحى على عكس ما اعتادت عليه العروض المسرحية السابقة وذلك إيماناً منه بموهبة وعبقرية هذا الشاب الصعيدى المسكون بالسيرة الهلالية التى تخلقت فى كيانه وامتزجت بالأجواء الأسطورية المتوارثة فى صعيد مصر وكان المخرج قد التقطه ووقع عليه احتياره من بين عشرين راوياً تخصصوا فى إنشاد العرض عبر الفيديو وتأملنا

المحطات التى توقف لديها المخرج شارحاً لنا جوهر الرؤية التى استخلصها وحرص على إبرازها والتى تؤكد أن البطل الفرد مهما حسنت نواياه وعظمت قدراته النبيلة وإرادته الأصيلة فى تغيير الواقع محكوم عليه بالهزيمة والخسران فى إطار بيئة امتلأت بفقر النفوس وفسادها وأن الخلاص الحقيقى وتغيير الواقع لا يتحقق إلا بجهد جماعى يشارك فى إنجازه بشر نبلاء مخلصين قادرين على تفعيل إرادة التغيير وتطهير الواقع من الدجالين والسماسرة ولصوص الأوطان.

صوت الجامعة - أول مارس ٢٠٠٥

obeikan.com